Archive of SID

The Quarterly Journal of Lesān-E Mobeen
(*Research in Arabic Literature***)**
Vol. 10, New Series, No.35, Spring 2019

Symbolism of Wind and its Manifestation in Samih al-Qassim Poetry*

Sadegh Fathi Dehkordi
Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, University of Tehran, Fardis Farabi
Sakineh Hosseini
Ph.D. Student of Arabic Language and Literature, University of Tehran, Fardis Farabi

Abstract
Symbol as an artistic feature plays a significant role in the contemporary literary movement. It is an artistic instrument to reveal national status. Wind as a symbol is a natural element that has found its place in contemporary poetry; therefore, it has implications that are consistent with the experience of each poet. Samih al-Qasim, is one of the poets who has used natural symbols in his poem. As this symbolic word for him, is a word that expresses his interest to the reality of life and the events of his country. Natural features in his approach have various symbolic implications that the poet uses them to express his thoughts. This research, through descriptive-analytical method, shows that al-Qasim expresses his thoughts through nature and portrays the intended meanings. The purpose of this research is to express the position of the poet about his homeland and the reality of his life, as well as the most important implications of it. The results of this study indicated that the "wind" refers to the negative and positive implications such as Zionism, resistance, occupied territories, Palestinian warrior, hope of freedom, independence, the expression of annoying emotions and difficulty of life and the soul of poet. So it can be said that nationalism, patriotism, resistance, hopes for the better future are the main features of this revolutionary poet who shows his commitment to his nation and the condition of his country through symbolic expression.

Keywords: Symbol, Implication, Resistance, Samih al-Qasim, Wind

---

* -Received on: 22/03/2019 Accepted on:15/08/2019
-Email: *s.fathi.d@ut.ac.ir*
-DOI: 10.30479/lm.2019.10389.2775
- © Imam Khomeini International University. All rights reserved.

www.SID.ir

فصليّة لسان مبين (پژوهش ادب عربي)
السنة العاشرة، المسلسل الجديد، العدد الخامس والثلاثون، ربيع ١٣٩٨، ص ٩٧-١١٣
Archive of SID

رمزية الريح ودلالاتها في شعر سميح القاسم*

صادق فتحي دهكردي أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، فرديس فارابي
سكينة حسيني طالبة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، فرديس فارابي

الملخّص

إنّ الرمز من أبرز الظواهر الفنية في التجديد الفكري وفي القدرة الفنية، إذ أدّى دوراً كبيراً في الحركة الأدبية المعاصرة لأنّه أصبح وسيلة فنية تُستخدم لتبيان المقاصد الإنسانية في شعر كل شاعر وجد ذاته في مواجهة عنيفة مع آلام الذات والإنسان والمجتمع معاً. فوظّف بعض الشعراء رموز الطبيعة لتعميق مواقفهم الوطنيّة والظروف السيئة التي سيطرت على شعبهم، ومفردة "الريح" تعدّ من جملة تلك الرموز، وهي من العناصر الطبيعيّة التي وردت بكثرة في النصوص الشعريّة واتّخذت أبعاداً جمالية وإنسانية وحملت دلالات وفقاً لتجربة كل شاعر ورؤياه. سميح القاسم من الشعراء الذين اتّجهوا إلى استخدام الرموز الطبيعية، واللغة الرمزية عنده لغة رقيقة تعبّر عمّا يحسّه من علاقته بواقع الشعب وأحداث وطنه، وتحمل مظاهر الطبيعة عنده دلالات رمزية يستعين بها الشاعر لبيان معتقداته. يتناول هذا البحث وفقاً للمنهج الوصفي- التحليلي ظاهرة بارزة في شعر القاسم وهي لجوؤه إلى الطبيعة للتعبير عمّا يجيش في خاطره من رؤى فلجأ إليها مستلهماً معانيها التي يريد إيصالها إلى المتلقّي ومن أهم نتائج هذا البحث أنّ "الريح" في شعر القاسم ترمز إلى دلالات متعددة منها: العدوّ الصهيوني، والاحتلال الذي جثم على الأرض الفلسطينية، والمقاومة، والوطن المحتلّ، والمقاتل الفلسطيني، والأمل إلى الحرية، والاستقلال، وكذلك مشاعر الحزن، وتعب الحياة وأيضاً تبيين نفسية الشاعر. إذن لتوظيف هذه المفردة في أشعاره تداعيات مختلفة، أحياناً في معناها الإيجابيّ وتارة في معناها السلبيّ ومما يفيد البحث أن الوطنية والمقاومة، والأمل بالمستقبل المطلوب من العناصر الرئيسة لأفكار هذا الشاعر الثوري، فهو يصوّر لنا التزامه بالنسبة إلى الشعب والأوضاع التي يعيشها بلده من خلال بيان رمزي.

كلمات مفتاحيه: الرمز، الدلالة، المقاومة، سميح القاسم، الريح.

---

* - تأريخ الوصول:١٣٩٨/٠١/٠٢ تأريخ القبول: ١٣٩٨/٠٥/٢٤
عنوان البريد الإلكتروني للكاتب المسؤول: *s.fathi.d@ut.ac.ir*
- شناسه ديجيتال(DOI): DOI: 10.30479/lm.2019.10389.2775

www.SID.ir

Archive of SID

١- مقدمة

إنّ الرمز من الإمكانيات والوسائل التعبيرية التي تمكن الشاعر ليتجاوز الإطار المعجمي والسطحي ويلقي إلى المخاطب المعنى الدلالي، ويمثّل قضايا الواقع دون الوقوف عند المعنى المألوف. لهذا نرى الشاعر يتّجه نحو الرمز لتجسيد أفكاره وآرائه ويعتزل عن بيان هذه المواقف بشكل مباشر ويعطي المعاني والدلالات عمقاً وثراءاً. فهذه الأفكار إلى حد كبير تتمثّل وتتداعى في قوالب وصور شعرية متعددة.

الرمزية هي من أبرز سمات الأدب المعاصر ولها دور كبير في الحركة الأدبية المعاصرة، يرجع سبب الإقبال إلى الرمزية إلى دلائل مختلفة منها: الغموض، والتعميق، وإغناء الشعر وخلق الصورة الشعرية. يعتمد شاعر المقاومة على أساليب متعدّدة ليبيّن حال نفسه الكئيبة في موقف الحزن والألم، والمليئة بالأمل والتفاؤل في موقف الخصب والنماء وغير ذلك من انفعالات نفسية يحسّ بها الشاعر في حياته ويصوّر الشاعر بهذه الطريقة التجارب والمقاصد الإنسانية، والآلام الوطنيّة، والاجتماعية وتشرّد العرب ويفصح عن آراءه بشكل أكثر تميّزاً. إنّ الرمزية وسيلة يلجأ إليها شاعر المقاومة ليعبّر عمّا يخالج نفسه من عواطف وأحاسيس، ويرسم واقع حياته المعيش ويبيّن ظروف مجتمعه في الساحة السياسية والاجتماعية. فشعراء المقاومة في فلسطين كانوا يعانون كثيراً في سبيل الإفصاح عن آلامهم، ومطامح، وآمال الشعب الفلسطيني ونقل هذه الأفكار إلى الآخرين بشكل صريح؛ لذا تفادياً لهذه المشاكل، أبرزوا كلامهم في ظلّ المحسّنات الأدبيّة واللغة الرمزية.

فالرمزية فتحت مجالا أوسع ليعمّق الشاعر مواقفه الوطنية والظروف السيئة التي سيطرت على شعبه وجعلت أشعاره ذات الدلالات الإيحائية التي توحي بهذه الاضطرابات، إذ إنّ الأسلوب الرمزي يدعو المخاطب إلى التأمل في الأفكار والآراء ويعطي الشاعر فرصة للتعبير عن مواقفه التي يصعب التعبير عنها بوضوح وليكشف عن حالاته النفسية ويقدّم واقع شعبه وواقعه المعيش.

إنّ الشعر المقاوم الفلسطيني، شعر يصوّر لنا آلام النّاس المظلومين ومعاناتهم ويفتح لنا آفاقاً واسعة وموضوعات جديدة في الأدب وهو شعر لعب دوراً فعّالاً في إثارة الشعب الفلسطيني إلى المقاومة والكفاح والدفاع عن حقوقهم. يمنحنا أدب المقاومة صورة واضحة وصريحة جدّاً عن النزاعات الّتي يعاني منها الفلسطينيون. فمن هذا المنطلق، إذن: المبارزة، والمقاومة، وحبّ الوطن وبيان التشرّد والأمل بالمستقبل الزاهر من الموضوعات الأساسية في شعر المقاومة.

«عاد بعض الشعراء إلى عناصر الطبيعة التي ظهرت جلية في نتاجاتهم الشعرية، وحملت مخزوناً ثقافياً وفكريّاً ومضامين واسعة من خلال الرموز التي استمدّوها من الطبيعة، والتي تناسب رؤاهم الخاصة وقضاياهم الإنسانية وقد ركزوا من خلال عناصر الطبيعة على ربط القضايا الإنسانية بمحيطهم وما يجري في الأمة بشكل عام، وفي الوطن بشكل خاص». (مرعي، ٢٠١٦: ٤٣٥)

سميح القاسم من الشعراء الذين يستخدمون رموز الطبيعة للتعبير عن الآراء، والانفعالات والمشاعر الخاصة. إنّ مفردة "الريح" في أشعار القاسم تخرج عن إطارها المألوف إلى المعنى الدلالي، ولها أكثر من مدلول واحد والسياق الشعري هو الذي يعرب عن هذه المعاني أو المدلولات. فالشاعر من خلالها يبيّن نزعاته الوطنية وأفكاره ومواقفه الاجتماعية ويخلق تصاوير فنية وإيحائية ليدعو المخاطب إلى التفكير في آرائه ومواقفه.

www.SID.ir

Archive of SID

ومن مظاهر الطبيعة التي شاع استخدامها رموزاً في الشعر الفلسطيني "الريح" فقد نقلت مفردة الريح رسائل متنوّعة في شعر سميح القاسم، الأمر الذي جعل نصوصه الشعرية مفتوحة على احتمالات عديدة فعبّر من خلالها عن العدو الصهيوني وظلمه، والاحتلال، والدلالة على الإنباء، والعذاب والهلاك، والوطن، والإخصاب، والمقاومة ونفسية الشاعر.

يحاول هذا البحث الإجابة عن الأسئلة التالية:

١- ما هي العناصر الرئيسة لأفكار هذا الشاعر الثوريّ؟

٢-ما هي أسباب الحضور الموسّع لكلمة "الريح" في شعر سميح القاسم؟

٣-ما هي أهم الدلالات الرمزية التي تنطوي عليها لفظة "الريح"؟

١-١. خلفية البحث

وأمّا بالنسبة لخلفية البحث فهناك بحوث ودراسات. من أهمها:

-رسالة تحت عنوان "الرمز ودلالته في القصيدة العربية المعاصرة-قراءة في الشكل-خليل حاوي أنموذجاً" ليوسفي سوهيلة، (سنة ٢٠١٧-٢٠١٨). قد أشار الباحث إلى نشأة القصيدة المعاصرة وأهم ميزاتها وظواهرها الفنية ثمّ انتقل إلى الحديث عن الرمز والرمزية في الشعر المعاصر من مكونات الرمز وخصائص المدرسة الرمزية الغربية والعربية وبعدها تحدّث عن الرمز والشعراء العرب المعاصرين بما فيه الرمز الطبيعي، والأسطوري والتاريخي.

-ودراسة لبهنام باقري وعلي سليمي، عنوانها "عناصر الإيقاع ودلالاتها في قصيدة الانتفاضة لسميح القاسم"، (خريف ١٣٩٥ش) وقد تبيّن من خلال هذه الدراسة، أنّ الشاعر يحاول في تشكيل البنية الإيقاعية لقصيدته، الإفادة من أصغر الجزئيات من أجل توظيفها بغية إثراء النغمة المنبعثة من الإيقاعات الداخلية والخارجية وإثراء دلالات النص وأن العنصر الإيقاعي بكافة أشكاله له دور واضح في إثراء البنية الإيقاعية والبنية الدلالية للقصيدة.

-ومقال تحت عنوان "الرمزية وتجليّاتها في الشعر العربي الحديث" لسارة نجر ساير العتيبي، (٢٠١٦)، تحاول الدراسة البحث عن الرمزية في الشعر العربي القديم والتنبيه إلى بعض الدراسات التي ترى أنّ الشعر العربي القديم لم يكن بعيداً عن مفهوم الرمزية الحديثة فقد استخدم الرمز واستعان بالصورة المعقّدة للإيحاء بمضمراته.

- ومقال "موتيف النخلة والزيتونة في شعر سميح القاسم" لكبرى روشنفكر وحامد پورحشمتي، (الشتاء ١٣٩٤ش) تحاول هذه الدراسة تسليط الضوء على توظيف موتيفي النخلة والزيتونة في شعر سميح القاسم مع الإشارة إلى المعطيات الإحصائية من تكرارهما في الأشعار، حيث يحمل الأول منهما رموزا للاستقامة، والنشاط والحياة الجديدة، ويوحي الثاني بالتجدد والعمران.

-ودراسة تحت عنوان "فكرة الموت وألوانه في شعر سميح القاسم" لحامد صدقي ورسول زارع، (الشتاء ١٤٣٦) يهدف البحث إلى دراسة إيدئولوجيا الشاعر في رؤيته نحو الموت كما حاول أن يبيّن دوافعه التي تشكلت في شعره لأنّ رؤيته الجمالية نحو الموت تقوّي روح المقاومة عند شعبه حتّى تغيّر لون الموت في عقائدهم فيعتبر الموت عنده التزاماً في الأبعاد السياسية والوطنية والقومية والذاتية.

-ومقال "الطبيعة الرمزية في شعر بدر شاكر السياب ونيما يوشيج" لحامد صدقي وجمال نصاري، (١٣٩٢ش). في بحث الطبيعة الرمزية حاول الشاعران أن يصوّرا الوطن كحقل محروق. تضافرت حوله عوامل سياسية ملتهبة

www.SID.ir

Archive of SID

متمنيين هطول أمطار الثورة لتزدهر حال الأمة وينسحب الاستبداد. مفردة الريح من الرموز التي ذكرت في هذا المقال. تأخذ الريح في شعر نيما يوشيج طابعاً سلبياً فهي تدمر حرية الإنسان والشعب وتأتي مجدداً بنظُم الديكتاتورية لكن الريح في شعر السياب تمنحه دافعاً ايجابياً وتخلّصه من أجواء الغربة.

-وبحث تحت عنوان "تحليل الخطاب السياسي على المستوى الصرفي في أشعار سميح القاسم" (موازنة بين الأشعار قبل حرب ١٩٦٧ وما بعدها)، لرقية رستم پور ومينا بيغامي، (الشتاء ١٣٩١ ش) يستهدف هذا المقال استخدام تحليل الخطاب وتطبيقه على النماذج الشعرية والتركيز على المستوى الصرفي في قصائد من ديوان "مواكب الشمس" (١٩٥٨) لقبل الحرب ومن ديوان "لا أستأذن أحداً " (١٩٨٨) لبعد الحرب للكشف عن الحقائق الموجودة في فكر الشاعر ورغبته في الاهتمام بالماضي أو الحال والمستقبل وأيضاً اهتمامه بالحيوية والانفعال والحركة.

-وبحث "التراث الديني في شعر سميح القاسم شاعر المقاومة الفلسطينية" لخاقاني إصفهاني ومريم جلائي، (١٣٩٠ش) توقّف البحث عند الدلالات الدينية في شعر سميح القاسم وتناول قدرة الشاعر ومدى نجاحه في التفاعل مع التراث الديني ووصل إلى أنّ لاستخدام الشاعر التراثَ الديني أبعاداً سياسية ونفسية وأنه يعتبر من أبرز الأسس الفنية في شعره.

-ورسالة "الريح في الشعر الجاهلي"، لعبد الحميد منصور مشاهرة، (سنة ٢٠٠٩). هذا البحث يشير إلى عدة نتائج، أهمها أنّ الإنسان القديم كان ينظر إلى الريح بتصويرها آلهة، أمّا الإنسان الجاهلي، فدمج بين قوتها الأسطورية، وبين حقيقتها كمنظر من طبيعي، فجعلها أساس عقليته، واجتماعه، وعبّر عن أسرار نفسه، وانفعالاتها المتأثّرة بها بأسلوب فنّي جميل.

-وكتاب تحت عنوان "الطبيعة في مرآة الشعر" لمحمد زكريا الزعيم، (سنة ٢٠٠٦). هذا الكتاب موسوعة أدبية في وصف الطبيعة وتصوير مظاهر الجمال فيها وما يجري فيها من ظواهر طبيعية كهبوب النسيم وانهمار المطر ويضمّ الكتاب طاقة جميلة من المختارات الشعرية حول موصوف معيّن من موضوعات الطبيعة.

-ودراسة محمد فتوح أحمد "الرمز والرمزية في الشعر المعاصر" (١٩٧٧). هذه الدراسة تهتمّ بتصوير الملامح الفنية والاتجاهات الرمزية وخصائصها الصياغية في الشعر المعاصر.

وفيما يتعلق ببحثنا بالتحديد لم نجد دراسة مستقلة حول "رمزية الريح" في شعر القاسم، وكان الهدف من دراسة رمزية "الريح" هو إظهار موقف الشاعر من وطنه فلسطين وواقعه المعيش وبيان أهم الدلالات التي تتعلق بهذا الموضوع من خلال نصوصه الشعرية.

٢-الرمزية وشعر المقاومة

إنّ المذهب الرمزي أدب جديد يعتمد على الإبهام وخفاء الدلالة، وهو منفذ للتعبير عن تجارب إنسانية ومعاناة وطنية واجتماعية بأسلوب الإيحاء، ووسيلة للتخلّص من الشواغل الفكرية والآلام النفسية والظلم والاضطرابات السياسية وردّ للاضطهادات الاجتماعية، فضلاً عن كونه منهجاً حديثاً معبراً عن المشاعر الإنسانية وترجمة للفكرة الواقعية بطريقة الإيحاء، فقد اهتمّ به العرب نتيجة عجز اللغة عن احتواء تجارب الشاعر الشعورية وانفعالاته وعدم قدرتها في بيان المراد الذي يقصده الشاعر. (خلف، ٢٠١١: ٢)

www.SID.ir

Archive of SID

«من الملامح المميزة لقصيدة الشعر الحر اعتمادها على الرمز اعتماداً كبيراً، بحيث يمكن القول إنّ الرمز أصبح بنية فنية من بنى النص الشعري المعاصر» (الدقاق وآخرون، د. ت: ٢٤٤) «إنّ قصيدة الشعر الحر اعتمدت على الصورة الرمزية، وهذه الصورة تتطلب لغة فنية إيحائية تتجاوز إطار المألوف، حيث لم تصبح دلالة اللغة كامنة في المعنى المعجمي فحسب بل حملها الشاعر المعاصر أبعاداً دلالية فتجاوزت إطارها المعجمي إلى معنى دلالي يفجر قضايا الواقع، ولا يقف عند المعنى المباشر للكلمة» (المصدر نفسه: ٢٧٧)

«يُعدّ الرمز من أبرز الظواهر الفنية في التجديد الفكري وفي القدرة الفنية، إذ أدّى دوراً كبيراً في الحركة الأدبية المعاصرة، لأنّه أصبح وسيلة فنية تُستخدم بهدف تبيان المقاصد الإنسانية في شعر كل شاعر وجد ذاته في مواجهة عنيفة مع مجتمعه وحاضره» (مرعي، ٢٠١٦: ٢٨) «إنّ شعر المقاومة الفلسطيني شعر نابع من المعاناة المباشرة، والمواجهة اليومية مع الاحتلال الذي يمثّل باعتراف الجميع أسوأ احتلال عرفته الشعوب في قديم أو حديث. ولذا فإن مظاهر التنكيل، والاضطهاد، والتعذيب والترهيب، التي يلجأ إليها المحتلون تجد صداها في بعض القصائد». (خليل، ٢٠٠٧: ٢٥٧)

«تردد الرمز المفرد في الشعر الفلسطيني على نحو ملحوظ، حينما تناولت موضوعاته الثورة والعدو والفداء والوطن، واستعار الشعراء لها رموزاً مفردة للدلالة عليها. وقد تعددت طبيعة هذه الرموز، فاستمدّت عناصرها من مظاهر الطبيعة والإنسان والحيوان والأماكن والأشياء». (أبواصبع، ١٩٧٩: ١٥٥)

إنّ شعر الطبيعة ليس من الموضوعات الجديدة في الشعر العربي، إذ إنّ الشاعر القديم يهتمّ بالتلوينات الظاهرية والأشكال الخارجية للطبيعة سواء كانت طبيعة صامتة أو طبيعة حية. ولكنّها عند الشعراء المعاصرين خاصة الرومانسيين تجسّم موقفاً فكرياً تأمليّاً وفلسفيّاً، فشعر الطبيعة عندهم يتجاوز الأوصاف السطحية والدلالات المعجمية إلى عوالم خفية، فيخلعون عليها أحاسيسهم الذاتية. بحيث أصبح الاهتمام بالطبيعة جزءاً هاماً من حياة الشاعر، والشاعر ينظر إلى نفسه باعتبارها جزءاً من الطبيعة. (شراد، ١٩٩٨: ١٥٧-١٥٩) لقد دخل الرمز إلى شعر عدد كثير من الشعراء الفلسطينيين بعد النكبة، سواء داخل الأراضي المحتلة أو خارجها أمثال معين بسيسو وأحمد دحبور وكمال ناصر ومحمود درويش وسميح القاسم وغيرهم من شعراء فلسطين. (أبوشاور، ٢٠٠٣: ٣١٩)

سميح القاسم من الشعراء الذين يستخدمون رموز الطبيعة ومن أهم الدوافع التي لجأ من أجلها سميح إلى اعتماد الرمز هي: الجوّ الخانق المسيطر على فلسطين المحتلّة، والفرار من الاضطهاد والظلم الموجود والخوف من البيان الصريح للمشاعر والأفكار.

٣-نظرة موجزة إلى حياة سميح القاسم

ولد سميح القاسم في مدينة الزرقاء الأردنية عام ١٩٣٩من عائلة قروية عندما كان والده ضابطاً في الجيش البريطاني. إنه ينحدر من عائلة درزية من إحدى قرى تسمّى الرامة وهو قضى فترة دراسته الابتدائية في الرامة وقد تعلّم فيها وعمل مدرساً لمدة خمس سنوات ترك بعدها التعلّم وتوجّه للعمل في مهنة الصحافة فعمل في عدد من المجلات الأسبوعية وأوّل ديوان شعري له صدر عام ١٩٥٨ بعنوان "مواكب الشمس" وكتب إلى جانب الشعر القصة والمقالات النقدية، وله كتاب "عن الموقف والفن" (١٩٧٠) شعره كشعر توفيق زياد وراشد حسين ومحمود درويش من حيث اللغة البسيطة والمفردة الشعبية والصورة التي تشف عن معاناة الإنسان وآلامه داخل الأرض المحتلة. (خليل، ٢٠٠٧: ٢٥٣-٢٥٤)

www.SID.ir

Archive of SID

«برزت اهتمامات سميح الأدبية والسياسية في سن مبكرة فأسهم في نشاطات المدرسة الثقافية بالتمثيل في المسرحيات وفي تشكيل الندوات الأدبية وكتابة الشعر إلى أن تبلورت مفاهيمه في تيّار مجابهة السلطة الصهيونية العنصرية والتعبير عن هموم وطموحات الشعب العربي الفلسطيني والأمة العربية والشعوب المغلوبة والطبقة العاملة العالمية» (القاسم، ٢٠٠٤، ج١: ٨) «لسميح القاسم في حدود تجربته الشعرية مفهومات عن وظيفة الشاعر ودوره. فالشعر ينبغي له أن يكون كالخبز وكالسلاح بالنسبة للثوار والمناضلين، وليس ترفاً ثقافياً يخاطب النخبة من الناس. فالأحرار، والعمال، والطلاب والفلاحين هم من يخاطبهم القاسم في شعره ويعبّر عنهم ويتوجه إليهم». (خليل، ٢٠٠٧: ٢٥٦)

٤- الريح ودلالاتها

٤-١- العدو الصهيوني وظلمه

إنّ التوظيف المتنوّع لهذه المفردة، بإمكانها أن يكون مخطّطاً لجهود الشاعر في بروز الإبداع الشعري وتطوير الفضاء البياني في الشعر وبصورة عامّة، تظلّ مفردة "الريح" تأخذ أشكالاً وتوظيفاً متعدّداً في الشعر المعاصر نتيجة الظروف الاجتماعية والتحوّلات السياسية المختلفة وكذلك النظرة الخاصّة لكلّ شاعر.

استعان سميح القاسم في أشعاره برموز استلهمها من مقاومة فلسطين المحتلة. منها: الرموز التي أخذت محل فلسطين ويعتبرها أرضاً مخصوبة، والرموز التي تصوّر لنا مدى معاناة الفلسطينيين العرب، وتشرّدهم وعذابهم، والرموز التي أخذت مكان إسرائيل، والشاعر يعتبرها قوة قاهرة، وجبارة وظالمة. إنّ "الريح" قد جاءت في نصوصه الشعرية تحمل دلالات عدة، ففيها ما جاءت لتدلّ على العدو الصهيوني، ويتداعي في ذهن الإنسان مفهوم الخطر والخشونة والهلاك. "فالريح" رمز للأعداء الذين أحاطوا بأراضي فلسطين وتسلّطوا عليها كما في المثال الآتي حيث يقول الشاعر: انتهت جذوة المهاجمين والشاب المحظوظ قد ناول ساقيه للريح وفي المقابل صانته الحياة وحفظته:

همدت ريحُ الغزاة/ والفَتَى المحظوظُ منهم، / أسلم الساقين للريحِ. . فصانتْه الحَياة! (القاسم، ١٩٨٧: ١٦٧)

يحكي الشاعر عن الظروف القاسية، العذاب وعدم مساعدته من قبل الآخرين، وهو لايزال مستمرّاً في مقاومته وجهاده ضدّ الاعداء.

يعيش بلد الشاعر مأساته الحزينة تحت وطأة العدوّ الصهيوني وقد فرضت عليه الحرب والتشرّد وقد تذوّق الشعب الفلسطيني والشباب والأطفال مرارة الحياة في شتّى أشكالها وضاعت أحلامهم الملوّنة ونشأوا مع حرمانهم عن حقوقهم ثمّ يقول سميح القاسم في المقطع التالي: من هو الذي يعيد الغطاء على الطفل الغارق في النوم ويعيد هدوءه وارتياحه! من الذي يبعد هذه الرياح الجهنمية عن هذه الورود اللطيفة والناعمة! من الذي سيبعد دبّابات الأعداء عن أرضنا وبلدنا!. فهو يستخدم عبارة "رياح الجحيم" ويسقط الريح على العدو كرمز للعدو وتعبيرا عنه وجرائمه والريح في المثال الآتي رمز لإسرائيل أم رمز لقوى الشر والدمار. ففي هذه الفقرة تحدّث عن بعض ما قدّمه الأعداء على هذه الأرض مطالباً المجاهدين بالجهاد والكفاح ضد الصهاينة:

يا أبي/ من يردُّ اللحافَ على جَسدِ الطفلةِ النائمةْ / في فِراش التهاليلِ والحُلمِ/ مَنْ ؟/ من يصد رياحَ الجحيم عن الوردةِ الناعمةْ / من يقول الكلام الأخير/ لدبابة الهمج القادمةْ / بأناشيدها واحتفالاتها القاتمةْ (القاسم، ٢٠٠١، ج٣: ٥٤٢)

www.SID.ir

Archive of SID

ليست إسرائيل وحماتها من يثيرون غضب الشاعر فقط، بل قاده العرب ونظام المجتمع العربي كذلك لهم دور في إثارة غضب الشاعر فهو يهجوهم وينتقدهم، والشاعر قلبه متضايق من هذه الحقيقة بأنّ ليس هناك من ناصر ينصر هذه الأرض؛ فنرى شعره يتّسم بطابع الاعتراض والنقد. كما يقول القاسم في المقطع الشعري الآتي: أطفأت الرياح مصباحي ولم ينصرني أحد، إلى من أمدّ يدي الغارقة أطلب ودّه وصداقته! نحن غارقين في الأمواج ولا نجد أحداً ينهض لنجدتنا وينقذنا مما نحن فيه من كارثة. فالريح هنا رمز للمعتدين على هذه الأرض المقدسة:

ذهبوا. واطفأت الرياحُ سراجي /فلمنْ يظلُّ البابُ دونَ رتاجِ؟ /ولمنْ أمدُّ يدَ الغريقِ؟ مصافحاً /أغرقى بلا أيدٍ على الأمواج (القاسم، ٢٠٠١، ج٣: ٤٢٦)

٤-٢-الاحتلال

قلّما عانت أمّة من الأمم مثلما عانت منه فلسطين من الظلم والاضطهاد. استعمار هذه البلاد أدّى إلى بروز مشاكل لهذا الشعب كالتشرّد، الحرمان، الخوف والقتل والغارة. سميح شاعر يصوّر للجميع، مصائب المجتمع وجناية الأعداء بكلّ شجاعة وحال لسانه هو حال آلام الناس ومعاناتعم في إحدى هذه المصائب؛ ألّا وهو الاحتلال.

عندما حلّت نكبة ١٩٤٨، هاجر عدد من الفلسطينيين من بلادهم في حين بقي قسم آخر داخل الوطن المحتلّ في أجواء مشحونة بالظلم والخوف وفي وضع مليء بالآلام والمآسي، والكبت وهدم القرى وطرد أهلها من الآثار التي ترتكبها قوات الاحتلال. (أبوشاور، ٢٠٠٣: ١٨٧) إنّ الرمز من أهمّ الآليات لفهم الطبقة الخفيّة للنص والوصول إلى الغايات التي تدور في خلد الشاعر ومفردة "الريح"من الرموز التي استدعاها الشاعر وضمّنه دلالة الاحتلال والظلم الاجتماعي، ومن أهم الكوارث التي حدثت للشعب الفلسطيني هي مأساة الاحتلال التي أدّت إلى تشريد وتشتّت أبناء فلسطين وتعذيبهم. فقد استخدم سميح رمز "الريح" بصورة أخرى حينما جعله رمزاً للاحتلال، فهي تأخذ صورة سلبية يأمل الشاعر أن تنتهي، فيقول القاسم:

عصفورةٌ مقطوعةُ الجناحْ/ ضاقتْ بها الرياحْ/ وسَقَطَتْ في أحدِ المَواقع. . . . . /أيّتها المَدافعْ/ أيتها المدافعْ!. . . /أيتها الدَّبابة!!/سَحابةٌ بيضاء/ سحابةٌ حَمراء/ طائرةٌ/ تحزُّ كالسكين/ في خيمةِ السَّماء/ مَن علّم القَنّاصه/ أن يَثقبوا الكتابْ/. . . /مَن عَلّم القنّاصه/ أيّتها الرصاصه؟! (القاسم، ٢٠٠١، ج٣: ١١٧-١١٨)

«إنّ ظاهرة الرمز في الشعر في الأرض المحتلة كانت نتيجة الاحتلال الذي جثم على الأرض الفلسطينية، وممارسة سياسة الكبت والقمع، والرمز كأداة فنية تمنح الكاتب القدرة على التعبير عن أفكاره ورؤاه وواقعه بصورة أكثر تأثيراً وفاعلية». (مقدم متقي، ١٣٩٦ش: ٢٦٨) وقد أشار هنا إلى مفردة "الرياح" للدلالة على ما يعانيه أبناء شعبه تحت الاحتلال. كما يقول القاسم: لم تطلع الشمس في يوم من الأيام، فما يجب أن تفعله الأشجار؟ فالذكريات والخواطر مضت وانتهت في مهبّ الرياح، والطلع (الزهر) ليس يجدي نفعا، والأزهار كذلك لم تستقم وساد جو الحزن والمرض في وطن الألغاز، يا بلادي هل كنت ثقيلا بالنسبة إليك وكنت أنت أكثر مما يجب أن أكون وكنا معا أكثر بالنسبة إلى طموحاتنا وكذلك في خطواتنا وبين اللغات وبين الناس؟:

لم تشرق الشمسُ دهراً ويوماً، فما يصنعُ الشجر؟ الذكرياتُ مضتْ/ في مَهبّ الرّياح. ولم يُسعف الطَّلعُ. لم يعقد الزهرُ. واختبَلَ الطقسُ في وطن الأحجياتْ/ بلادي. . بلادي. . بلادي!/ أكنتُ كثيراً عليكِ/ وكنتِ كثيراً عليَّ/ وكنّا كثيراً على الأمنياتِ وفي الخطواتِ وبين اللغاتِ وبين البشرْ؟ (القاسم، ٢٠٠١، ج٣: ٢٣٤-٢٣٥)

www.SID.ir

Archive of SID

اعتمد سميح القاسم على مفردة "الريح" لإظهار عمق مشاعره المرّة تجاه الظروف التي تعاني منها بلده وهي تبيّن لنا أوّل ما تبيّن الأوضاع والظروف الغير مواتية للناس في البلاد. ففي هذه الأسطر الشعرية يحمل لفظ "الريح"دلالة رمزية ويتجاوز إطارها المعجمي وتصبح رمزاً للاحتلال الذي أتعب الناس على هذه الأرض وآلمهم وكان سبباً في سلب الأمل بالحياة عندهم. إنّ الرمزية من أبرز الملامح الشعرية الموجودة في شعر القاسم، وهذا يبيّن لنا مدى يقظة وجدان الشاعر بالنسبة إلى الأحداث التي تحدث في المجتمع الفلسطيني. فهو يقول: لم أعد أستطع الاستعانة لحيتي (رمز التجربة والعلم) ما يجعلني متفائلا فإنها سقطت تحت وطأة الرياح شعرة بعد شعرة فإنها سقطت عند الطلوع ولم أعد أملك ما يجعلني متفائلا في وطني أو في غربتي فإذا أكن عائدا من يدي، أنا عائد لا نحوي بل عائد بصورة لقاح عبر الغبار فنخلة في الخليج تشتاق إلى نخلتي فأنا سأعود زمن نضوج الرطب فإذن اسمعي صراخي واشهدي خطواتي وأقدامي يا بلاد العرب:

لم يَعُدْ لي رجاءٌ يُؤَمَّلُ من لحيتي/ سقطتْ تحتَ نصلِ الرياحْ/ شعرةٌ شعرةً/ سقطتْ عند باب الصباحْ/ لم يَعُدْ لي رجاءٌ يُؤَمَّلُ/ في وطني-غربتي/أنذا عائدٌ من يديّ/عائد/لا إليّ/ عائدٌ في غُبار اللقاحْ/ نخلةٌ في الخليجِ تحنُّ إلى نخلتي/وأنا عائدٌ في نضوج الرُّطَبْ/ فاسمعي صيحتي/ واشهدي خطوتي/ يا بلاد العرب! (القاسم، ٢٠٠١: ٣٤٦-٣٤٧)

فكلمة الريح في أقسام كثيرة من شعر سميح لها دلالات رمزية منها: الاحتلال، والذي نفهم منها بأنّ لاتزال سلطات الاحتلال تحارب بلاده الذي في ذروة الفقر، والتشريد والعذاب.

٤-٣- الدلالة على الإنباء

إنّ الشاعر من حيث إحساسه الشاعري عالم تماماً بوظيفة الريح الإخبارية، "الريح" التي تنقل أخبار الشاعر ورسائله وقد وظّفها الشاعر للدلالة على الإنباء وهي تحمل في نصوصه الشعرية دلالات متعددة من البشارة والخبر الجيّد والحسن، فإذن على ضوء هذا المقطع الشعري نعرف بأنّ الطبيعة في خيال الشاعر توحي دائماً إلى معنى الحياة والتبشير كما يظهر لنا من خلال أفكاره وعقيدته:

وإنْ هبّتْ عليَّ الريحُ/ أسألُها/ وإن عادتْ. . . أحملُها/ وأحرصُ أنْ أحَدّثَها/ ولو ظلّتْ بلا ردّ/ سلاماً. . . أيُّها الأحبابُ/ يا إخوانُ. . . يا جيرانُ. . . يا أصحابُ. سلاماً/ كيف أنتم في فُصولِ الحرِّ والبردِ وكيف الحالُ/ على الأطفال/ وكيف رفاقُنا الموتى (القاسم، ٢٠٠١، ج١: ٢١٦)

إنّ الريح عند الشاعر كإنسان حيّ وهو يلجأ إليها ويرتبط بها في لحظاته المريرة. فالريح رمز لنصير يمدّ الشاعر إليه يد العون حتّى ينال الهدوء والسكينة من خلال اطّلاعه على أحوال الأصدقاء، والجيران والأقرباء. فإذن الريح في هذا الشعر رمز للاطّلاع على الأخبار ويضمّن معنى إيجابياً.

عندما نواجه أفكار الشاعر لأوّل مرة، نتيقّن بأنّ أحلامه تتحوّل إلى سراب ويملأ قلب الإنسان بالحزن والأسى والكآبة وكأنّ الضعف وشعور الإحباط يلازم غضب الشاعر، ولكن بعد مدة يتمالك الشاعر نفسه مرة أخرى ويتكلّم عن المستقبل بكلّ ما أوتي من أمل واطمئنان فهو متيقّن بأن أرض فلسطين ستنهض لامحالة مع ما فيها من جروح كثيرة وستذوق طعم النصر في المستقبل. إنه يستعين باستدعاء الشخصيات الدينية لتصوير آلام فلسطين المحتلة والمعاناة التي يرى الشاعر بأنّها بعيدة كلّ البعد عمّا يطمحون إليه ولا يسمح للظروف الغير مواتية التي تحكم حياته،

www.SID.ir

Archive of SID

أن تهديه نحو اليأس. فإحدى طرق تقوية المقاومة بين الشعوب هي تحكيم الأواثر بين مفهوم المقاومة والرموز الدينية، لطالما كان دمج الشعور بالوطنية مع الرموز الدينية من الفنون الأدبية في شعر المقاومة. إن قصة يعقوب (ع) ترمز إلى أمل الشاعر بتحرير الوطن من أيدي الأعداء كما قرّت عينا النبي (ع) برؤية ابنه يوسف (ع) بعد تحمل آلام فراقه. ففي هذا المقطع يشير إلى قصة النبي يوسف (ع) وأبيه يعقوب (ع) بدلالتها الرمزية ويبدأ النص بكلمة أحبائي وهي تحمل المحبة والتفاؤل وهنا نوع من البشارة يحملها الشاعر لبلاده وهذه القصيدة بشارة بحتمية انتصار الحق وعودة الشعب الفلسطيني إلى وطنه:

أحبّائي أحبّائي/ إذا حنّتْ عليَّ الريحُ/ وقالتْ مرّة ماذا يريد سميح؟/ وشاءت أن تُزوّدكم بأنبائي/ فمرّوا لي بخيمةِ شيخِنا يعقوب/ وقولوا: إنّني من بَعد لَثمِ يَديه عن بُعد/ أُبشّرهُ. . . أُبشّرهُ. . . بعَودةِ يوسفَ المحبوب/ (القاسم، ٢٠٠١، ج١: ٢١٦)

«من القضايا الرئيسية التي عالجها الشاعر الفلسطيني قضية العودة إلى أرضه وبلاده وعلى الرغم من كل المحاولات لإلغاء انتماء الفلسطيني إلى أرضه، إلا أنّ الإنسان الفلسطيني ظلّ محافظاً على بلده وانتمائه الفلسطيني» (أبوشاور، ٢٠٠٣: ١٧٧) يبدو أنّ يوسف (ع) في هذا المقطع الشعري رمز للمشرّد الفلسطيني المطرود من أرضه وبلده، وبعد أعوام من تحمّل العذاب وألم الغربة يعود إلى بلده ومأواه الأصلي ويبدو أنّ وجه الشبه بين النّبي يوسف (ع) وأعراب فلسطين في المعاناة والألم الكبير الذي كان في حياتهم ومصيرهم إلا أنّهم لم ييأسوا من العودة أبداً.

إنّ مفردة "الريح" في المقطع التالي لها معنى إيجابي، "فالريح" هنا تنقذ الشاعر وشعبه وتخلّصهم من ظلم الأعداء والغاصبين. فكلمة "الريح" هنا رمز للحرية والانتصار، والأمل والتخلّص من ظلم العدو الصهيوني ونرى بأنّ الشاعر ينظر بمنظار متفائل بالنسبة إلى مستقبل شعبه وبتوظيف هذه المفردة، يبشّر أمّته وأبناء شعبه بالأمل بالمستقبل الزاهر. مع أنّ الشاعر له تجارب مريرة وأنّه يشعر بآلام الناس وعذابهم إلّا أنّنا لا نشهد يأساً في أشعاره. فيقول القاسم في قصيدة "نافذة أخرى": قومي بفتح نافذة وفجوة أخرى وانزعي عن القمر هذه الستائر، يقترب طائر السنونو من الزجاج المغلق للشرفة والغرفة تمتليء بموت غامض، انهضي إلى الريح القريبة وافتحي نافذة أخرى لمن يقدس البشائر افتحي نافذة أخرى لقلبي فانهضي وافتحي نافذة أخرى لشعبي وأمتي:

افتحي نافذةً أُخرى/ انزعي عن قمرِ الروحِ الستائرْ/ السنونوّةُ تدنو منْ زُجاجِ الشرفةِ المُغلقةِ/ الغرفةُ تكتظُّ بموتٍ راكدٍ/ قومي إلى الريحِ القريبهْ / وافتحي نافذةً أخرى لقُدّاسِ البشائرْ/. . . /افتحي نافذةً أُخرى على قلبي/ وقُومي وافتحي نافذةً أُخرى على شعبي (القاسم، ٢٠٠١، ج٣: ٤٠٣)

وقد وظّف القاسم لفظة "النافذة" أربع مرّات وهي توجد بمعان متعددة كالأمل إلى الحرية والانتظار وكذلك رمز للحياة الناضجة وظهور أبناء شعبه حاملين رايات النصر. فنرى أن الشاعر يأمل بأن تأتي "الريح" وتتحسّن ظروف بلد الشاعر وأوضاعه. فإذن الشاعر يغلق جميع أبواب اليأس ويأمل بالمستقبل القريب ولا يزال يهمس في أذن الشعب بأنّ النصر والحرية سيعودان لامحالة ولن يمضي كثيراً حتى يتبدّل الحلم الحلو إلى الحقيقة. ففي محور الحزن والكآبة يعلو صوت الشاعر ويصير إنساناً ثائراً ولا تفارقه معاناة شعبه فهو يخاطب "كفر قاسم" في المقطع التالي ويقول: نشيدي وأشعاري للأيدي التي مازالت تقاوم، وللحريّة التي باتت محرّمة في بلادنا، وللأيدي التي قُطعت في سبيل الحرية وسعادتنا تتلخّص في أن نعيش ونحصل على الحرية التي سُلبت منّا. إنّ صورة المعاناة التي

www.SID.ir

Archive of SID

رسمها الشاعر من خلال عبارة "أنشد للأيدي المقطوعة" تعمّق الدلالة على الأسى والألم الإنساني وقد رمز بها لتصوير المأساة التي يعيشها الشعب الفلسطيني في ظلّ الاحتلال والتشرّد. فالشاعر يقصد من خلال هذه العبارات المؤثّرة المملوءة بالألم والحزن أن يصوّر ظروف بلده المأساوية للمخاطب. تحمل لفظة "الريح" في هذه الفقرة مشاعر الحزن، وتعب الحياة، والحسرة العميقة على فقدان الحرية وعدم الاستقلال في وطنه وهي رمز للحرية التي لا يمكن النيل إليها سوى عن طريق الاستقامة واتّحاد النّاس:

وأنا يا كفر قاسم/ أنا لا أنشدُ للموت. ولكن/ ليدٍ ظلّتْ تقاوم!/ أنشد للريح الممنوعة!/ أنشدُ للأيدي المقطوعه/ لا يُفرح قَلبي أنّا ما متنا!/ يُفرح قلبي. . أن نحيا! (القاسم، ٢٠٠١، ج٤: ١٠٩)

مع أنّ سميح يجتهد أن يطبع شعره بطابع الأمل والتفاؤل إلا أنّ الواقع المرير التي تعيشه فلسطين لا تمضي عن عينه للحظة وهو لا يزال يصفها. قرية كفر قاسم التي اقترف الصهاينة فيها مذبحة دموية من أبشع المذابح في التاريخ، وهي رمز للمجازر التي يقترفها الإسرائيليون ورمز للظروف الصعبة عاشها الإنسان الفلسطيني ومرّ بها. (أبوشاور، ٢٠٠٣: ٣٢٦)

ونرى أنّ الشاعر قد استخدم الفعل المضارع بكثرة لكي يُظهر لنا مدى اهتمامه بمآسي وآلام الحاضر وهو دائماً في صدد تغيير هذه الأوضاع الخانقة ويظهر لنا بأنّ جروح فلسطين ليست من ذلك النوع الذي يلتئم بسرعة، بل على العكس تماماً يتزايد يوماً بعد يوم ويعمّق هذا الجرح في قلب الناس في هذه الأرض وسيظهر بشكل أكثر وخامة وهو من خلال تكراره لهذه الأفعال يكشف الغطاء عن دلالة مميّزة ألا وهي الرغبة في الحياة.

٤-٤-الهلاك والعذاب

للرّيح مفاهيم متعدّدة ويمكن أن يكون لها تداعيات ومعانٍ خاصّة في كلّ ثقافة، أمّا من أهمّ معاني الريح وسماتها هو الزوال والدمار وعدم الثبات الّذي نشعر به في أغلب أشعار الشعراء وخاصّة شعراء المقاومة.

للرمز تأويلات وتفاسير مختلفة لما يحمله من تعقيد في المعنى. إنّ التوظيف المتنوّع وأحياناً المتّضاد لهذه المفردة، يضفي على أشعار الشاعر جوّاً جديداً على تشكيلته الشعرية، ويستطيع الشاعر بذلك أن يتكلّم بخفاء وبصورة غير صريحة حول المسائل المختلفة، وأن يبيّن آراءه وأفكاره بالنسبة إلى الموضوعات المختلفة وأن يتحدّث بلغة معقّدة مليئة بالرموز، ألا وهي لغة الرمز.

«حضر رمز الريح حضوراً قوياً في الشعر الحداثي، إذ حمّلوه صورة الدمار والخراب، لأنّه في إحدى سماته يرتبط بالتجربة الاجتماعية عموماً، التي عبّر عنها الشعراء، وبالتجربة الجمالية خصوصاً التي وردت في توظيفهم الفنّي لهذا الرمز ولأنّ الريح صارت رمزاً للدّمار في اللاشعور الجمعي، فقد دفع هذا الأمر الشعراء إلى إحداث تشاكل رمزي قوي بين الريح والدمار». (مرعي، ٢٠١٧: ٤٢٢) إنّ مفردة الريح من الرموز الطبيعية التي لها معان سلبية وإيجابية، كما جاء في الذكر الحكيم قوله تعالى: **(وَ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالاً سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ. . .)** (أعراف/٥٧) وجاء في الذكر أيضا ﴿**وَ أَمَّا عادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عاتِ**﴾ (حاقة/٦) "فالريح" في بعض الأحيان تحمل في داخلها الحياة والخير والبركات الكثيرة وفي أحيان أخرى تتسبب في الدّمار والعذاب وقد أشار إليها الله تعالى في هذه الآية بصورة جميلة على نحو جاء متوافقاً مع تصور الشاعر، فهنا المراد "بالريح" هي

www.SID.ir

Archive of SID

"الريح المدمّرة" التي استخدمت للهلاك والعذاب والموت حيث يقول: ارتجفت شجر البيد الوفية في عظمة في حين أنّ الرياح تدفنها بالرمل والغبار:

واهتزّت البيد الوفية جثة/ تدفنُها الريحُ برمل وغبار / في جلال (القاسم، ٢٠٠٤، ج١: ٢٣٥)

إنّ الريح عند الشاعر، لا ترمز دائما إلى الخصب والحياة بل تسوق الشاعر أحياناً إلى هاوية الهلاك والحزن، وحصيلة هذه الريح اضطراب الشاعر وتشويشه. تظلّ مخاوف الهلاك تلاحق قلبه أينما يذهب؛ لذا اتّخذ الريح رمزاً لبيان هذا العذاب والهلاك ويبتغى بذلك -عن وعي- تصوير علاقة الريح بالدمار للمخاطب.

ويقول أيضاً في النص التالي: فهم ليسوا على الارض وكونوا أوفياء بالنسبة إلى الحب الشريف وتحملني الرياح خلف غبار القبيلة كيتيم من الطلح والرمل والملح:

هنا، تحتَ سقفِ السماء / وليس على الأرض / أطفوُ هُلاماً مِن الصبواتِ النبيلةْ / وتَحملُني الريحُ/ خلفَ غبارِ القبيلةْ / يَتيماً من الطَلحِ والرّملِ والملحِ (القاسم، ٢٠٠١، ج٣: ٤٥١)

"فالريح" في هذا المقطع ترمز إلى العذاب والمصائب التي ضاعفت على الشاعر غربته ووحدته.

٤-٥- الوطن

إنّ حياة سميح زاخرة بالكوارث المؤلمة والحوادث المريرة التي لا تبتعد عن نظرة سميح للحظة واحدة. إنّ ظروف حياته جعلت من شعره وقفاً لوطنه والحوادث التي تجري في أرضه. فموضوع الوطن لايزال يشغل بال الشاعر وروحه وهذا يظهر لنا من خلال جميع أشعاره. إنّ الشاعر يصرخ بأعلى صوته لما يجري في الساحة العربية من صمت تجاه وطنه الذي يحمل له كل الحبّ والحنان وليس باستطاعته فعل شيء سوى التعبير عمّا يشعر من واقع أرضه المغتصبة فراح يندد نسيان بلده ويبيّن لنا الشاعر مدى حنينه إلى وطنه الأم ويسعى دائما أن يصوّر للعالم وينبههم عن الاحداث التي تجري في فلسطين، مع أنّه يعلم بأنّ صرخته هذه لن تجدي نفعاً أبداً. ففي دلالة أخرى للريح يقول الشاعر:

في سفح "الجرمق"/ قبل "الهوّة" بقليل جداً/ تبكي للريحِ شجرةُ جميّز/ هل يذكرُها أحد؟/ هل أحدٌ يذكرُها؟/ هل يذكرُ أحد؟ (القاسم، ٢٠٠١، ج٣: ٥٩)

فحبّ الوطن والوفاء بالنسبة إلى الهوية الوطنية، فكر يلازم الشاعر في جميع أشعاره وفيه يوجد الهناء والشقاء معاً بشكل سواء ويمنح الشعر المقاوم طابعاً خاصاً. قد وظّف سميح أسلوب التكرار في خدمة مفاهيم المقاومة وعبر توظيفه للتكرار يصرخ في أذن جميع الشعوب النائمة في الظلمة. فهو يقصد من خلال هذا التكرار أن يوقظ جميع الشعوب ويدعوهم نحو الاتحاد والمقاومة. فهذه الريح ليست في الحقيقة إلا رمزاً للوطن الذي يطارده جنود الاحتلال.

يستلهم سميح القاسم من الطبيعة مرة أخرى ويهب تلك المظاهر الطبيعية دلالات رمزية حسب أفكاره الداخلية مثل رمز البرتقال فهذا الرمز يشير إلى أراضي فلسطين المحتلّة ورمز الزيتون الذي يصوّر الأصالة العربية ونفسية المقاومة والمثابرة الدائمة. ففلسطين هي المحور الأساس في هذه القصيدة وهذه الدلالات الرمزية تصوّر لنا مدى حبّ الشاعر وتعلّقه بالنسبة إلى هذا المكان وعلى ضوء هذه المعاني يمكن أن نستنتج بأنّ معاناة

www.SID.ir

Archive of SID

الفلسطينين وعذابهم تتلخّص في قضية واحدة ألا وهي قضية الوطن؛ القضية التي يتطرّق إليها سميح وينهض للدفاع عنها في كثير من أشعاره الثورية. كما يقول الشاعر:

ارفعي رؤوسَكِ أيّتُها الأبوابُ لتدخلَ صبية البُرتقال/ أيّتُها القناطرُ تبرجّي/ هي ذي عَروسُ الزَيتونِ قادمة/ ولتهدأ ريحُ الجليلِ قَليلاً/ ولتصغ شموسُ الياسمين إلى مراثي/ فسأرثينّك إلى الأبد. . إلى أبد الآبدين. . إلى الغَد (القاسم، ٢٠٠١، ج٤: ١٤١)

«تعدّ شجرة الزيتون من الأشجار الأكثر أهمية وقد ظهرت منذ العصور القديمة، فهي شجرة تحمل الخير والرزق الوفير، ويمكن الإفادة منها كثيراً، وكان الأقدمون يحسبون غصن الزيتون شعار السلام، ومازال حتى الآن يتّسم بهذه الرمزية. أما عند الشعب الفلسطيني فيشكل الزيتون جزءًا من وجوده وارتباطه بالأرض وتعدّ الشجرة ذات بعد تاريخي وديني وتراثي في الوقت ذاته. فالزيتون رمز الأرض المحتلة والوطن ورمز الإخضرار الدائم ورمز الحياة». (مرعي، ٢٠١٦: ٤٦٢). «وما بين فلسطين والياسمين ارتباط قوي هو ارتباط الأرض بالنقاء، ارتباط الوطن بالوجود والإصرار على ذلك، وارتباط أبناء فلسطين بالأمل والرغبة في العودة إلى وطنهم». (مرعي، ٢٠١٦: ٤٦٩) لا تنتهي استعانة القاسم بالطبيعة مركزّاً على "الريح" التي ترسم لنا الوطن المحتل، بل يلوذ في هذا المقطع الشعري بمختلف أشكال الطبيعة من البرتقال والزيتون والياسمين، وهي رموز حرّرها الشاعر من الدلالات المعجمية وحمّلها دلالة ارتباطه بالأرض، ويريد سميح أن يربط بين هذه الرموز الطبيعية وبين بلاده ووطنه المحتل، فهو يصوّر شدّة تعلّقه والتزامه بالنسبة إلى وطنه بصورة رمزية. فإذن يمكن أن ندرك بأنّ الوطنية عند الشاعر هي صورة محبوبة لا تغادر فكر الشاعر ونظرته وإنّها عجينة بجميع خلايا الشاعر ووجوده فهو لا يفتأ يتذكرها وهي موجودة في جميع لحظات الشاعر الذي يعيشها في حياته.

٤-٦-الإخصاب

يمنح الشاعر في هذا القسم معنى وظيفياً آخر لمفردة الريح، من جملة هذه المعاني: قدرة الريح على الإخصاب وهذه الريح، ريح تهبّ معها رياح النشاط والحياة الجديدة لمجتمع الشاعر وتتحسّن من خلالها الظروف السّيئة الحاكمة في هذا البلاد.

«يعدّ النص القرآني مصدراً هاماً من مصادر التعبير الشعري وتكثيف الدلالة وإثرائها بالرموز الخصبة، فقد تأثّر الشعراء الفلسطينيون بأسلوب القرآن الكريم، حيث استثمر هؤلاء الشعراء ثقافتهم الدينية بشتّى الطرق التي تناسب تجاربهم ورؤيتهم». (الكسواني، ٢٠١٢: ٢١) تشير هذه الآية القرآنية إلى عمليّة تلقيح الأعشاب والأشجار من قبل الريح: **(وَ أَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِح. . .)** (الحجر/٢٢) إنّ هذه الآية أخذت محلّها في كلام الشاعر وقد وظّفها خير توظيف في شعره، فمفردة "الريح" مقترنة بالرموز الدالة على التجدّد ونموّ الحياة وتطورها، حيث يقول: أتيت من أجيال وهناك حكاية حول الرّياح وكيف أنّها تنجب ويحكون أيضا أنّ هناك من البذور تتحرك وتنمو في صخرةٍ أو حجرٍ:

مِن أينَ أتيتَ؟. . /. . . / من أجيال/ يُحكى أنّ هناك رياح/ وهناك لقاح/ وهناك _كما يُحكى _ بذره/ تتسلَّلُ. . روحاً في صَخره؟/ وتَشقُّ الدَّربَ إلى الشمس/. . . /-يُحكى أن هناك رياحاً/ وهناك لقاح/ وهناك جُذوراً. . لم تُمرضْ باليأس؟؟. . (القاسم، ١٩٨٧: ١٧٧-١٧٨)

www.SID.ir

Archive of SID

إنّ الريح في هذ االمقطع الشعري دليل على الخصب والحياة بدلاً من الهلاك والدمار. "فالريح" في هذا السياق توحي بالحياة والاستمرارية وتبعث الحياة للأرض الفلسطينية وشعبها ويعتقد الشاعر بأنّ أرضه مازالت في انتظار حتّى تستيقظ من جديد وتبدأ حياتاً جديدةً، مع أنّ الشاعر قد عانى من الحرمان والتشتت الكثير في أرضه وهو لايزال يذوق هذه المعاناة ولكنه لم ييأس من ذلك ويأمل بخصوبة أرضه ويمكن أن تكون "البذرة" رمز للناس في هذه الأرض وهي تصوّر لنا مدى قدرتهم على الرغم من المشاكل والآلام الكثيرة ولكنهم لم يألوا جهداً في هذا السبيل. فينقص الشاعر قليلاً من هذا الجو الحزين ويصوّر لنا استعداد مواطنيه لمقابلة هذه المشاكل واجتيازها. فيصور القاسم في ذهنه أرضاً تربطها علاقة وطيدة بالطبيعة من حوله. الأرض التى رياحها تمنح حياة جديدة وأملاً متجدّداً وهذه النفسية لطالما هي موجودة في جذور الموجودات في الطبيعة.

٤-٧-المقاومة

سميح القاسم شاعر نرى اسمه عجيباً وممزوجاً بالمقاومة الفلسطينية، ولا خمود لجزوة المقاومة أمام الظلم. فهو أبداً كان يشارك في الثورات ويستمرّ في المبارزة بنفسيّته الثورية والكفاح الدائم وقلبه مفعم بالأمل والمستقبل الزاهر ولربّما هذه المقاومة المقتدرة أمام الصعاب والمشاكل من أهمّ عوامل خلود أشعاره. فمن هذا المنطلق، المقاومة هي الّتي تمنح النّاس نفساً آخر في هذه البلاد ويستعدّون بذلك من جديد للمبارزة المسلّحة.

«إنّ الشاعر لم يكن بعيداً عن ساحة الصراع، بل كان أكثر معاناة وأشدّ تحسساً من غيره فأخذ دوره الأدبي في مسيرة شعبه، وميزة الشاعر الفلسطيني أن مشاركته لشعبه لم تقتصر على الكلمة الفنية بل شارك مشاركة إيجابية في المقاومة والنضال» (أبوالشباب، ١٩٨١: ٦٤) يرى الشاعر في نفسه عزما وإرادة قوية وهو يعتقد بأنّه يجب عليه أن يحارب العدو متكئاً على ما له من قدرة وفي سبيل الوصول إلى مستقبل زاهر، يجب عليه أن يتحمّل أية معاناة. إنّ لفظة "الريح"قد جاءت في نصوصه الشعرية تحمل دلالات عدة، ففيها ما جاءت لتدلّ على المقاومة والتحدّي كما يقول الشاعر:

إنّني قادمٌ من خَللِ الدُخان / من خَلل الرّياحِ والدُموعِ والأمطار/ آتٍ أنا، (القاسم، ١٩٨٧: ٢٧٩)

وذلك ليعبّر عن قدرته على الجهاد ومن هذا المنطلق يُصوّر عزمه وإرادته ضدّ العدوّ وقوات المحتل وتصوّر لنا عبارة "آت أنا" ثبات الشاعر وشعبه وعدم تزلزلهم. مع أن عاقبتهم غير معلومة ولكن هذا الشعب لا يخشى شيئاً؛ لأنّه قد أحكم عزمه وإرادته أكثر من قبل. فيظهر الشاعر عبر تأكيده "أنا"، صرخة المقاومة التي يجب أن تصل إلى آذان جميع الشعب لكي تكون ضربة قاضية للعدوّ ويشير الشاعر من خلال هذه العبارة إلى ملاحظة أساسية في نظام المقاومة ألا وهي "الصرخة والقيام".

٤-٨-نفسية الشاعر

إنّ "الريح" في شعر سميح القاسم يحمل إيحاءات ورموزاً متنوعة وفقاً لتجارب الشاعر وانفعالاته ونظرته الخاصة وهو في بعض الأحيان يعتبر "الريح" رمزاً لوطنه الغارق في الاضطراب والفوضى وفي بعض الأحيان ترمز "الريح" إلى نفسية الشاعر والحالات الشعورية التي يعيشها.

www.SID.ir

Archive of SID

فمفردة "الريح" هنا ترتبط بحالة الشاعر النفسية ورمز لخلجاته وحالاته النفسية وما يكابده من همّ واضطراب، كما نجده في المقطع التالي حيث يقول: هو يتنفس وينشد ولكن لغته لا يفهمها أحد، ويصرّ ويحنّ قرب باب الله وتتداعى له المدن التي وقعت في يد الأعداء وتقرع باب بيتي جثة وضحية أخرى وأقوم بعجلة وبسرعة. برد وظلمة تصيب قدميّ وتبكي الريح خلف الباب وأنا أصرخ وأصيح: من هناك؟ ولكن لا أحد يجيب فأنا والأموات ننام في وسط الطرقات وهم يبكون من هذا العار والخزي والجوع، فكيف لي أن أنام وهذه الأكفان التي تمطر من حولي وهي تغطي جميع البلد:

يَتنفسُ ويغني في لُغةٍ لا يَفهمُها أحدٌ/ وينثُّ على بابِ الله:/ تتابني المُدنُ التي سقطتْ وتَقرعُ بابَ بيتي جثةٌ أُخرى. / أقومُ مهرولاً. بردٌ وليلٌ باهظُ القدمين. تَبكي الريحُ خلفَ البابِ. / أصرخُ: مَن هناك؟ ولا أحدٌ. / سأنامُ والأمواتُ في الطُرُقاتِ/ ينتحبون مِن خزيٍ ومِن جوعٍ. وكيفَ أنامُ والأكفانُ غيمٌ ماطرٌ شربَ البلدْ؟ (القاسم، ٢٠٠١، ج٣: ٣٨٦-٣٨٧)

كأنّ الشاعر نقل وحدته وغربته النفسية إلى "الريح" فنرى أنّها تشاركه في آلامه وأحزانه وحمّلها دلالة البعد والغربة. يبدو أنّ "الريح" هو الشاعر نفسه، التي تحمل في وجوده التوجّع والغربة النفسية، لأنّ الشاعر يعيش واقع مجتمعه المرير، وهو لا يكشف عن نفسيّته اليائسة المضطربة فقط بل يعكس آلام شعبه المضطهد في فلسطين. هو شاعر لا يفقه أحد لغته ولا يدرك فحوى كلامه وتلاحقه مصاعب الحياة ومصائبها دائماً وتسلب عنه هدوءه وطمأنينته. فالشاعر في هذا الشعر، إنسان وحيد وتائه في المجتمع وحديثه في الواقع حديث عن الوحدة والغربة في الحياة الاجتماعية، فإذن من هذا المنطلق نرى أن الجوّ المسيطر على هذه الأسطر الشعرية يظهر لنا وحدة الشاعر، وهذا البكاء والأنين هي بكاء وأنين غربة الشاعر وقلبه المليء بالجراح.

النتائج

- إنّ الوطنية والمقاومة، والأمل بالمستقبل المطلوب من العناصر الرئيسة لأفكار هذا الشاعر الثوري، فهو يصوّر لنا التزامه بالنسبة إلى الشعب والأوضاع التي يعيشها بلده من خلال بيان رمزي.

-إنّ حياة الشاعر كانت مليئة بالهموم وهو كشاعر واقعي ركز عليها في شعره ليُشحنه بدلالات مختلفة ويعبّر عمّا يحسّه من علاقته بواقع الحياة وأحداث وطنه.

-يستخدم القاسم شعره كأداة لبيان مخاوفه الوطنية، فالشاعر جزء لا يتجزأ من المجتمع الفلسطيني، وبما أنّه ليس قادراً على بيان قلقه ومخاوفه الإنسانية بالنسبة إلى مجتمعه، فيلجأ إلى بيان رمزي وبهذه الصورة يسعى إلى تصوير آلام شعبه المضطهد والمصائب التي تحلّ بالشعب المظلوم.

-إنّ استخدام مفردة "الريح" من قِبل سميح القاسم يُظهر لنا الظروف المسيطرة على مجتمعه الإنساني، تلك الأرض التي تعاني أجواء اليأس والاضطراب والقلق إثر حكومة الطغاة والجبابرة.

-يختلف توظيف مفردة الريح عند الشاعر. أحياناً تأتي الكلمة في معناها الإيجابي وترمز إلى الوطنية، والمقاتل الفلسطيني، والحياة، والاستمرارية، ومقاومة العدوان، والاحتلال الذي جثم على الأرض الفلسطينية، والحرية، والانتصار وأحياناً تأتي في معناها السلبي والتّي تظهر لنا الخراب، والدمار، والعذاب، والاحتلال والعدوّ الصهيوني.

www.SID.ir

Archive of SID

المصادر

- القرآن الكريم

-أبو شاور، سعدى. (٢٠٠٣). **تطّور الاتجاه الوطني في الشعر الفلسطيني المعاصر،** الطبعة الأولى، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

-أبواصبع، صالح (١٩٧٩). **الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة**، الطبعة الأولى، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

-خلف، جلال عبدلله. (٢٠١١). "الرمز في الشعر العربي"، **مجلة ديالي**، العدد الثاني والخمسون، جامعة ديالي/ كلية القانون والعلوم السياسية.

-خليل، إبراهيم. (٢٠٠٧). **مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث،** الطبعة الأولى، عمان: دار المسيرة.

-الدقاق، عمر وآخرون. (د. ت). **تطور الشعر الحديث والمعاصر**، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

-شراد، شلتاغ عبود. (١٩٩٨). **تطور الشعر العربي الحديث،** الطبعة الأولى، عمان: دار مجدلاوي للنشر.

-القاسم، سميح. (٢٠٠٤). **الأعمال الشعرية الكاملة**، الجزء الأول، بيروت: دار العودة.

-_____ (١٩٨٧). **ديوان سميح القاسم**، بيروت: دارالعودة.

-_____ (٢٠٠١). **الأعمال الشعرية الكاملة**، الجزء الثالث، الطبعة الثانية، الكويت: دار سعاد الصباح.

-الكسواني، ناهدة أحمد. (٢٠١٢). "تجليات التناص في شعر سميح القاسم مجموعتا "أخذة الأميرة يبوس" و"مراثي سميح" أنموذجاً"، **مجلة قراءات،** العدد الرابع.

-مرعي، نورا مصطفى. (٢٠١٦). **تنوع الدلالات الرمزية في الشعر العربي الحديث،** الطبعة الأولى، بيروت: دار الفارابي.

-مقدّم متقي، أمير. (١٣٩٦ش). "الزيتون رمز المقاومة في الشعر الفلسطيني المعاصر"، **مجلّة الأدب العربي**، العدد ١، صص٢٦١-٢٧٨.

www.SID.ir

Archive of SID

فصلنامه لسان مبین (پژوهش ادب عربی)
سال دهم، دوره جدید، شماره سی و پنجم، بهار ۱۳۹۸

نماد باد و دلالتهای آن در شعر سمیح القاسم*

صادق فتحی دهکردی دانشیار ، گروه زبان و ادبیات عربی ، دانشگاه تهران ، فردیس فارابی
سکینه حسینی ، دانشجوی دکتری گروه زبان و ادبیات عربی ، دانشگاه تهران ، فردیس فارابی

چکیده

نماد، یکی از مهم‌ترین جلوه‌های هنری در نوآوری فکری و قدرت هنری است؛ چرا که نقش چشمگیری در جنبش ادبی معاصر ایفا کرد. نماد، ابزاری هنری برای بیان مقاصد انسانی در شعر هر شاعری مبدل شد که خود را در برابر چالش هایی شدید با دردهای وجود و انسان و جامعه می دید. برخی از شاعران از نمادهای طبیعت برای عمق بخشی به موضع ملی گرایی و شرایط بدی که بر ملت حکمفرماست، بهره برده اند. و واژه "باد" از جمله این نمادهاست. "باد" از عناصر طبیعی‌ای است که بسیار در متون شعری استفاده شده است و دارای رویکردی زیبایی شناسی و انسانی است و بر اساس تجربه و رؤیای هر شاعر، دلالت ها و نشانه های مختلفی به خود گرفته است.
سمیح القاسم از جمله شاعرانی است که به استفاده از نمادهای طبیعت، گرایش نشان داده است، و زبان نمادین نزد او زبانی شیواست که احساس وی را نسبت به ملت و حوادث روزگارش نشان می‌دهد؛ پدیده های طبیعی نزد او نشانه های نمادینی دارند که از آن برای بیان اهداف و مقاصد خود بهره می گیرد. این پژوهش به روش توصیفی- تحلیلی به بررسی پدیده ای شاخص در شعر سمیح القاسم که همانا بهره بردن از طبیعت است می پردازد؛ پدیده‌ای که شاعر از آن برای بیان احساسات درونی و رؤیاهایش بهره برده است تا با الهام از آنها، مفاهیم مورد نظر خود را به خواننده القا کند. از مهم‌ترین نتایج پژوهش، می‌توان گفت که "باد" در شعر القاسم دارای نشانه و دلالت های متعددی است، از جمله: دشمن صهیونیستی، اشغالگری که بر سرزمین فلسطینیان چیره شده است، مقاومت و وطن اشغال شده، جنگجوی فلسطینی، امید به آزادی، استقلال و همچنین احساس اندوه و سختی زندگی و بیانگر درون و روحیه شاعر است. بنابراین استفاده از این واژه در اشعار وی دارای نشانه های مختلفی است، گاهی در معنای مثبت و گاهی در معنای منفی. از دیگر نتایج این پژوهش آن است که ملی گرایی و مقاومت، امید به آینده مطلوب از عناصر اصلی افکار این شاعر انقلابی است، وی تعهد خود را نسبت به ملت و شرایط کشورش را با زبان نماد، به تصویر می کشد.

کلمات کلیدی: نماد، دلالت، مقاومت، سمیح القاسم، باد.

---

* - تاریخ دریافت:۱۳۹۸/۰۱/۰۲ تاریخ پذیرش: ۱۳۹۸/۰۵/۲٤
- نشانی پست الکترونیکی نویسنده مسئول: *s.fathi.d@ut.ac.ir*
- شناسه دیجیتال(DOI): 10.30479/lm.2019.10389.2775

www.SID.ir